مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 02 ، 31/ 03/ 2022
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

المدينة الجزائرية بين التطور التَّاريخي والتَّغير الحضاري

The Algerian City between Historical Evolution and Civilizational Change

د. صاحبي وهيبة sahbi wahiba* sahbi.wahiba@gmail.com	علم الاجتماع الحضري	كلية العلوم الاجتماعية والانسانية /جامعة الحاج لخضر، باتنة1 / الجزائر.

DOI : 10.46315/ 1714-011-002-018

الإرسال: 2021/01/13 القبول: 2021/05/09 النشر: 2022/03/31

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعرف على الأنوية الأولى لمشكلة النسيج الحضري في الجزائر والتي يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد، والمتمثلة في المستوطنات الحضرية التي اختلفت خصائصها باختلاف الأجناس التي شيدوها، شهدت الجزائر خلالها حياة حضرية متنوعة كانت بوادر لظهور مدن بعضها تطور وتأقلم مع تعاقب الزمن، والبعض الأخر انقرض ولم يبقى منه سوى الأطلال نتيجة لتاريخ مملوء بالحروب والاضطرابات تارة والاستقرار والازدهار تارة أخرى، ساهمت هذه التشكيلات والثقافات والحضارات في بناء التراث العمراني وتشكيل الشبكة الحضرية بالجزائر، والتي شهدت خلالها نموا حضريا سريعا للمدن أثر على تغير المجال الحضري للمدينة الجزائرية .

الكلمات المفتاحية: المدينة؛ المدينة الجزائرية؛ التطور التاريخي؛ التغير الحضاري؛ الشبكة الحضرية.

Abstract:

This research paper aims to identify the problem of the first urban fabric nuclei in Algeria, which dates back to the pre-Christmas period (BC) represented in urban settlements whose characteristics varied from one another according to different races that built it. Algeria witnessed a diversity in urban life during which cities were emerging, some of which evolved and adapted over time, while others has been died out and only ruins remained as a result of a history full of wars, disturbances, as well as stability and prosperity at other times. These formations, cultures and civilizations contributed to the building of the urban heritage and the formation of the urban network in Algeria, during which it witnessed the rapid urban growth of cities that influenced the change in the urban field of the Algerian city.

Keywords: City; Algerian City; Historical Evolution; Civilizational Change; Civilizational Network.

*- الباحث المُرسل: د. صاحبي وهيبة sahbi.wahiba@gmail.com

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 02 ، 31/ 03/ 2022
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

1-مقدمة :

تعتبر المدينة وحدة اجتماعية وهي محور اهتمام علم الاجتماع الحضري، فلقد اهتم بها المفكرون على اختلاف مشاربهم الفكرية، نظرا لأن الحياة الحديثة تتركز تدريجيا في المدن لكونها المجال المباشر لدراسة التحضر والحضرية والظواهر المرتبطة بها.

لذلك تعتبر مسألة البحث في نشأة المدن وتطورها مسألة هامة ومعقدة في الوقت نفسه، على اعتبار أن ظهور المدن في الفترات التاريخية ونموها يتحكم فيها ظروفا اجتماعية واقتصادية معينة، غير أن معالجة نشأة المدن ونموها بهدف الكشف عن معالم النمو الحضري تتطلب التحليل والبحث في الأسباب والعوامل بالرجوع إلى عهود بعيدة ارتبطت باستيطان الإنسان في مناطق السهول الفيضية والزراعية، وبذلك شهدت المدن تطورا في تاريخها الحضري نجم عنه تضخمها وزيادة عدد سكانها، والذي يعتبر سمة أساسية تميز مدن العصر الحديث، وأصبح التحضر يتم بمعدلات كبيرة خاصة في الدول التي أخذت بأساليب التنمية، ما أدى إلى ظهور العديد من المشكلات كارتفاع معدلات النمو الحضري ونشوء مدن ضخمة .....

والجزائر كغيرها من دول العالم شهدت هذه الظاهرة واعتبرتها ليست بالحديثة وإنما هي قديمة قدم حضارات البحر المتوسط عرفت الجزائر خلالها حياة حضرية متنوعة عبر تاريخها الطويل للشعوب والأجناس التي عاشت فوق أرضها، فكانت بوادر لظهور مدن نمت وتطورت وأخرى تلاشت واندثرت عبر التاريخ، نتيجة الحروب والاضطرابات من جهة والاستقرار والازدهار من جهة أخرى بدأً بالغزو الروماني الذي ترك آثارا عمرانية بارزة ثم الاجتياح الوندالي فالبيزنطي ثم جاءت الفتوحات الإسلامية مرورا بالحكم العثماني الذي هو الآخر ترك مدن قديمة لها عمرانها الخاص ثم الاستعمار الفرنسي.

ونجد جميع هذه التشكيلات السياسية بثقافتها وحضاراتها تركت بصمات واضحة المعالم في التراث العمراني بالجزائر، وقد ساهمت من بعيد أو قريب في تشكيل الشبكة الحضرية بالجزائر، حيث ظهرت حياة حضرية في الجزائر بشكل واضح وأصبح للمدينة دورها الاجتماعي والاقتصادي خاصة على المناطق الساحلية، وأصبحت ظاهرة التحضر منتشرة في الكثير من المراكز العمرانية إذ بلغ النمو الحضري بها ما بين 3-6 بالمائة سنويا في مختلف أحجام المدن الجزائرية ما نجم عنها الكثير من المشكلات .

ومن جملة ما سبق تتمحور اشكاليتنا في التساؤل الرئيسي الاتي :-ما واقع المدينة الجزائرية في ظل التطور التاريخي والتغير الحضاري؟

وللإجابة عن هذه الاشكالية تطرقنا في التحليل إلى أهم محاور الدراسة والمتمثلة في :

-تحديد الخلايا الأولى للنسيج الحضري في الجزائر.

-التركيز الحضري والخصائص الحضرية للمدينة.

-خصائص الحياة الحضرية ومراحل التحضر في الجزائر.

-نمو سكان المدن وتوزيعهم على المدن الجزائرية.

2 -مفهوم الحضر عند بعض علماء العرب والغرب

2-2 .تعريف الحضر عند العرب:

قبل التطرق الى تحديد مفهوم الحضر عند مختلف علماء العرب نجد في مقدمتهم ابن خلدون الذي ينظر الى المدينة على أنها مبنية على أساس مبدأ التميز بين البداوة وحضارة المدن والتي تشير الى أهمية العوامل الاقتصادية في حياة المجتمع المنظم في دولة العصور الوسطى، حيث يعني ذلك ضرورة وجود موازنة لاقتصاد سليم في بناء المجتمع كشكل حضري وريفي وهذه الموازنة هي مفتاح الاستقرار السياسي والمحافظة على الهوية والثقافة المحلية والنمو بمستوى رفاهية المدينة، إضافة إلى اعتباره مفهوم الحضر على أنه يمثل مركز السلطة ويعبر عن مرحلة متطورة من التحضر وأدخله في مجال الفلاحة والزراعة اللتان تعدان من خصائص التحضر والنمو في المجتمعات الإنسانية إذ قال في هذا الصدد فالفلاحة هي العمران ومنها العيش كله، والصلاح جله وبطالتها تفسد الأحوال وتخل كل نظام (عبد العالي، 1988، 41)

وبالتالي مفهوم الحضر عند ابن خلدون تميز بالحركية والتداخل والتفاعل الاجتماعي والاقتصادي وتغير في المراكز والأدوار الاجتماعية، والتنظيمات والنظم السوسيوالثقافية وغيرهما من الأنساق القيمية، وخلص بذلك الى أن ظاهرة التمدن في بعض الدول قليلة بسبب أن عمرانها كان بدويا، ولم تساهم في القضاء على هذه الظاهرة والتخفيف منها حتى جاءت الحضارات والدول التي غزتها، لانه لم يطل ملكهم فيها حتى ترسخ الحضارة .

3.2.تعريف الحضر عند الغربيين:

لقد اهتم الغربيون بمفهوم الحضر وأولوا اهتماما كبيرا لضبط هذا المفهوم، فمنهم من ينظر إلى المدينة على أنها: "المكان الذي يعمل غالبية سكانه داخل حدوده، أما القرية فهي المكان الذي يعمل غالبية السكان خارج حدوده""(نهى السيد، 1978، 24)

أما "ممفورد" يعتبر المدينة حقيقة تراكمية في المكان والزمان، ومن هذا المنطلق فإن تاريخها يمكن استقراؤه من خلال مجموعة التراكمات التاريخية وفي تطورها من حيث الزمان، تأخذ شكلا تتابعيا من حيث الوجود التي مرت بها، وهي كنتيجة لذلك التتابع الزمني تعد تراكمية في المكان (حسين عبد الحميد، 1998، 58)

ونجد من عرفها في ضوء عدد السكان على أنها: أي مكان يعيش فيه 20.000 نسمة فأكثر يعتبر مدينه حيث تتزايد نسبة سكان المدن في العالم زيادة كبيره سواء كان ذلك في البلاد المصنعة أو الغير مصنعة، وبالتالي كان هذا التحديد العددي ملائما فقط للأغراض الإحصائية.

أما البعض الآخر فعرفها: إذا كان الإنسان هو الصانع للمدينة فإن المدينة هي الصانعة للإنسان، ويذهب R.ledrut إلى تعريف المدينة على أنها:" مكان أو وسط ذو امتيازات وهي ظاهرة يدور فيها عمل الإنسان.(R.ledrut ,1973 , 186)

أما "مايكل فرانت" فيعرفها على أنها:" مكان يجتمع فيه عدد من السكان ويعيشون حياتهم اليومية بكل ما فيها من علاقات تربط بعضهم البعض، وقد تكون محدودة المساحة والسكان وقد تتسع أو تزيد في أحد هذه الجوانب لتصبح عاصمة للدولة."

وبهذا المفهوم فإن المدينة لا تقتصر على البنائية والضخامة السكانية أو الكثافة السكانية، بل هي المركز الذي تدار منه مؤسسات المجتمع أو الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية، وبالتالي هذا المفهوم واسع لا يشمل العاصمة فقط وإنما يمس كل أنواع المدن وتأثيراتها على محيطها الجغرافي ونطاقها الاجتماعي الثقافي الحضاري بصورة عامة.

أما من وجهة الهيئات الدولية ترى المدينة على أنها:" أي مكان يعيش فيه 20.000 نسمة فأكثر يعتبر مدينة."

ولقد عرف الإنسان المدينة منذ أقدم العصور وعرف طابعها في الحياة، وكثيرا ما كان يتردد سكان المناطق التي تقع خارج حدودها عليها لمسائل تتصل بقضاء مصالحهم أو للترفيه عن أنفسهم، كما أن تأثير المدينة على المناطق المحيطة بها كان أمرا ملاحظا خلال مراحل التاريخ بأكملها (محمد عاطف، دس، 111)، ومنه فالمدينة هي مستوطنة حضرية ذات كثافة سكانية كبيرة تضم تجمعات

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

سكانية غير متجانسة تعيش على مساحة كبيرة ومحددة، يعمل أغلب أصحابها في الصناعة والتجارة أو كليهما معا، تنتشر فيها تأثيرات الحياة الحضرية تمتاز بالتخصص وتعتمد على مبدأ تقسيم العمل وكذا تعدد الوظائف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وعرفت بذلك المدن نمو "حضاريا كبيرا" حيث أصبحت تشبه غابات من المباني الشاهقة إضافة إلى أنها امتلأت بالمرافق الضرورية لحياة حضرية بعيدة عما كانت تعرفه من حياة شبيهة بحياة البدو حيث بدأ الاهتمام بالمظهر العمراني الذي اختلف من معمار تقليدي إلى معمار من نوع متطور نظرا للتزايد الديموغرافي الذي عرفه القرن العشرين والتطور لم يطل فقط الجانب المعماري بل تخطاه إلى مجال المواصلات والتكنولوجيا.

4-2 .تعريف الحضر عند الأنثربولوجيين:

نجد أن مفهوم الحضر استخدم في الكثير من الدراسات الأنثربولوجية الحضرية فالبعض منهم من نظر إلى الحضر على أنه موقع يجري داخله الدراسات الأنثربولوجية، وأطلق عليها الأنثروبولوجيا في المدينة، أما البعض الآخر من الأنثربولوجيين عرف الحضر على أنها المركز الأساسي لإجراء الدراسة الأنثربولوجية، ويعرف هذا الجانب بأنثربولوجيا المدن (محمد حسن، 1984، 26)

وبالتالي هذه الدراسات تؤكد أن: "البيئة الحضرية هي متغير أساسي يؤثر على الحياة وتعد مجالا لإجراء البحوث والدراسات التي تتطلب استراتيجية بحثية معينة (Edd, E. led ,1968, 93) "ومن بين الدراسات التي أجراها الأنثروبولوجيون داخل البيئة الحضارية هي دراسات حول الفلاحين الجدد القادمين إلى المدينة وكيفية تكيفهم مع متطلبات البيئة الجديدة، إضافة إلى دراسة مسائل أخرى كالعنصرية، التهميش، الفقر الحضري وغيرها.

وعليه كان هدف هذه الدراسات الأنثروبولوجية هي إقامة مقاربة بين المدن والمراكز الحضرية من حيث تباينها ومحاولة رصد أهم المعالم التي تعطي للمركز الحضري صفة النظام (محمد حسن، المرجع السابق، 29)

2-5.تعريف المجتمع الحضري:

إن اهتمام علماء الاجتماع بالمجتمع الحضري كان مغايرا لنظرة العلوم الأخرى، فعرفوا بذلك المجتمع الحضري على أنه مجموعة من الأفراد تقطن في البيئة الحضرية (المدينة) وتتسم بأسلوب حياة معين يتجاوب مع خصائص الحجم والكثافة واللاتجانس (مصلح الصالح، 2000، 555)

ومن علماء الاجتماع الذين انطلقوا من هذا التعريف "لويس ويرث" في مقالته الشهيرة "الحضرية كطريقة للحياة" الذي اعتبر أن المجتمع الحضري يتميز بمجموعة خصائص منها الكثافة السكانية والحجم والتغاير واللاتجانس، واعتبرها متغيرات أساسية مميزة للمجتمع الحضري.

كما نجد جاء في مرجع لمصطلحات العلوم الاجتماعية أن المجتمع الحضري نمط مثالي أو مجرد مجتمع طوره "روبرت راد فيلد" كجزء من تصنيفه المجتمعي إلى حضري... شعبي، حيث يتميز بكبر عدد السكان واللاتجانس والاتصال الوثيق بالمجتمعات الأخرى من خلال التجارة وعملية الاتصال يسوده تقسيم العمل المعقد، وكذا العلاقات الغير شخصية وتسوده الضوابط الاجتماعية من النوع الرسمي.

3-التركيز الحضري والخصائص الحضرية للمدينة :

ترتكز الحياة في عصرنا الراهن في المدن، وبينما يتزايد عدد السكان فيها ويقل تدريجيا في الريف، كما يلاحظ أن حياة الريف بدأت تتأثر بحضارة المدينة وتنقل عنها بعض خصائصها حتى أصبح يخشى الآن زوال الظاهرة الريفية بتعاقب الزمن ويرجع ذلك إلى عاملين هامين وهما (محمد عاطف، مرجع سابق، 95):

أ- اتساع حركة التصنيع الأمر الذي أدى إلى هجرة الكثير من القرويين من الريف إلى المدينة، وبذلك تزيد اليد العاملة في المدينة وتقل في الريف.

ب- تمتاز المدينة بخاصية الجذب لما تتمتع به من توفر فرص العمل ومظاهر العظمة، تعمل على جذب الكثير للتمسك بحياة المدينة وهجر الريف.

وبالتالي عملت على الاتجاه لإصلاح الريف وتزويده بمختلف الإمكانيات الضرورية من أجل توجيهه إلى الحضرية.

وأهم ما تتميز به الحضرية من خصائص نذكرها فيما يلي:

أ- الحضرية تتناسب طردا مع عدد السكان بحيث كلما زاد عدد السكان في المدينة ارتفعت بها نسبة الحضرية.

ب- المهاجرون من الريف إلى المدينة مازالوا يحتفظون ببعض العادات والرواسب التقليدية، وبالتالي يجدون صعوبة في التكيف إلى أن يتحرروا منها تدريجيا.

ج- إن أهم سمة تتميز بها الحضرية هي شكل العلاقات التي تقوم بين الناس ونوع العمل الذي يقومون به، والتخصص وتقسيم العمل ومدى اتساع نطاقه، وليست المسألة في الحضرية مسألة عدد، فقد تجد قرية يزداد عدد سكانها زيادة كبيرة جدا وقد تجد أخرى عدد سكانها قليل، فالعبرة ليست بعدد السكان ولكن بنوع العلاقات الإنسانية التي تميز الحياة الحضرية عن الريفية.

د- إن انتشار الظاهرة الصناعية في أغلب المجتمعات يميل إلى خلق مراكز صناعية مستقلة تصبح مدنا بعدها، وبهذا فالحياة الحضرية تختلط بالحياة الاجتماعية المتأثرة بالتصنيع حتى يصعب التمييز بينهما.

هـ- ان الحياة في المدينة تفرض على كل فرد أن يكون مسؤول على نفسه لوحده ولا يتحمل مسؤولية أحد آخر.

و- إن العمل في المدينة يخضع للتقسيم المهني والترتيب الطبقي فهي تحدد نوع العمل الذي يقوم به الفرد، وهذا راجع إلى كثرة عدد سكان المدينة.

ي- الحياة الحضرية أوسع نطاق من الريفية فالشخص في المدينة حراً في طريقة حياته الخاصة والعامة.

ن- الحياة الحضرية تمتاز بالتكيف السريع، فالفرد الجامد الذي لا يستطيع التكيف ينعكس عليه نفسيا عكس الفرد المتكيف والمتفاعل هو الذي يمكنه البقاء في المدينة، وبالتالي التكيف شرط أساسي للحياة الحضرية الناجحة.

ل- الحياة الحضرية تمتاز عن الريفية بأنها مرنة غير جامدة، يكون فيها التغير أسرع، وعلاقات الناس فيها تتسم بالمرونة والقابلية للتغير والتكيف للمواقف المختلفة التي قد تكون نتيجة لتغير المراكز والأدوار التي يقوم بها كل منهم، وعلى هذا فالطبقات في المدينة مفتوحة ويمكن القول بأن الحياة الحضرية تمتاز بالديناميكية.

هذه هي بعض خصائص الحياة الحضرية أوجزناها في النقاط التسع السابقة ومع هذا فالحياة الحضرية أوسع من أن تحدد سماتها (محمد عاطف، مرجع سابق، 97- 98).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

4- الخلايا الأولى للنسيج الحضري في الجزائر:

لقد ظهرت في الجزائر أنوية أولى للنسيج الحضري يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد تمثلت في مستوطنات حضرية اختلفت خصائصها من زمن إلى أخر حسب اختلاف الأجناس التي شيدوها وعاشوا فيها. وساهمت في بناء التراث العمراني وتشكيل الشبكة الحضرية بالجزائر ونجد من بينها:

4-1 .المدن الرومانية:

إن النمط الحضري كتجمع سكني في الجزائر ليس وليد الساعة بل تواجد منذ القدم بدءاً بالمستوطنات الرومانية التي ظهرت في شتى أنحاء الجزائر خلال الاجتياح الروماني وتوسع أرجاء الإمبراطورية الرومانية في إفريقيا (بشير، 2000، 10).

وقد كان الهدف من توسع الرومان في الجزائر هو هدف عسكري شيد من خلالها قلع ومراكز حصينة لجنودها نتيجة المقاومة الشديدة التي واجهوها من طرف الأهالي، ولكن سرعان ما أعجبوا بالوسط الجزائري فشيدوا أجمل المدن بها وجلبوا لتخطيطها أمهر المهندسين المعماريين، وهي لا تزال آثارها موجودة حتى الآن وتحمل الخصائص العمرانية والحضرية التي امتازت بها الإمبراطورية الرومانية من هندسة معمارية وتخطيط مدني وإقامة الهياكل والمرافق والخدمات الأساسية العمرانية كبقايا المعابد والكنائس... ومن أجمل آثار المعابد معبد تيمقاد، وحمامات تيمقاد، شرشال .

4-2. المدن ذات النشأة الإسلامية:

انتعشت الشبكة العمرانية في الجزائر مع الفتوحات العربية الإسلامية وأنشئت الكثير من المدن على نمط مدن الحضارة العربية الإسلامية، مستمدة كيانها ومضمونها وروحها من الشريعة الإسلامية والفقه مستجيبة للمقاييس الأساسية للفكر العمراني الإسلامي من حيث التركيب المورفولوجي والوظائف المتنوعة والمنسجمة في شتى المجالات التي يتطلبها المجتمع الإسلامي من مساجد وسكن، أمن، دفاع، إدارة، تجارة، حرف، فنون، وبساتين وحدائق...الخ(بشير، المرجع السابق، 13).

وقد تزايد عدد المدن ذات النشأة العربية الإسلامية مع تعاقب الدويلات الإسلامية التي حكمت الجزائر وانتقال عواصم الحكم والإدارة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، ارتبط إنشاؤها في بداية الأمر بقواعد عسكرية أقيمت في نقاط استراتيجية ولكن سرعان ما انتقلت إلى مدن تحوي السمات الأساسية للمدينة العربية الإسلامية.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

وقد ساهم في تشييد هذه المدن وتهيئة مرافقها في الجزائر كل من الرستميين والحماديين والزيانيين والمرابطين والصنهاجيين، إضافة إلى المهاجرين المسلمين من الأندلس بعد سقوط غرناطة على يد الأسبان، ومن بين المدن العديدة ذات النشأة العربية الإسلامية نذكر مدينة تيهرت، القلعة، المنصورة، المسيلة، بجاية، تنس، الجزائر... إلخ.

4-3. المدن الجزائرية خلال الحكم العثماني:

ظهرت الحياة الحضرية في الجزائر بشكل بارز وواضح خلال القرن الخامس عشر ميلادي وأصبحت المدينة تلعب دورها الإقليمي بالمفهوم الحضري الحقيقي، فتنوعت الحياة الحضرية وأنشطة المدن في مختلف المجالات بفضل هجرة العرب المسلمين من الأندلس بعد سقوط غرناطة على يد الإسبان، وكان هؤلاء المهاجرين العرب والمسلمون بصفة عامة يضمون بينهم علماء وأطباء مهندسين، معماريين، شعراء، فنانين، أدباء وحرفيين في مختلف المهن ساهموا بأنشطتهم الحضرية في تقوية الطابع الحضري للمدن الجزائرية خاصة الساحلية منها، وبذلك أصبحت المدن الجزائرية لا تقل أهمية عن باقي المدن في العالم آنذاك مثل تلمسان في الغرب وقسنطينة في الشرق اللتين كان عدد سكان كل منهما في هذه الفترة لا يقل عن 50000 نسمة وغيرها من المدن الجزائرية المهمة في ذلك الوقت.

4-4. المدن الجزائرية خلال الاستعمار الفرنسي:

في نهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر ميلادي ومع احتلال فرنسا لمدينة الجزائر سنة 1830م، ثم احتلالها لباقي المدن الجزائرية الأخرى سواء الواقعة على الشريط الساحلي أو الداخلي حيث بدأ سكان المدن يتقلص وأصبح لا يزيد عن 5% من مجموع السكان الجزائريين آنذاك والذي قدر بحوالي ثلاثة ملايين نسمة ويعود السبب في تناقص عدد سكان الحضر في هذه الفترة إلى سياسة التقتيل الجماعي خلال مقاومة الأهالي للاحتلال وسياسة الطرد والنفي التي اتبعها الاستعمار ضد سكان المدن (بشير، المرجع السابق، 15)، مما دفع هؤلاء للاعتصام بالأرياف والجبال والهجرة إلى البلدان المجاورة، في حين عمد الاستعمار الفرنسي إلى توسيع عملية الاستيطان الأوروبي بإقامة المستوطنات والأحياء الأوروبية بالقرب من المدينة العربية وتدعيمها بالهياكل الأساسية من طرق برية وسكك حديديه، وبذلك خصصت مساحات معينة لإسكان الجزائريين معظمها يقع في مناطق هامشية ضمن المخططات التي كانت تنجزها الإدارة الاستعمارية لعزل العرب وإبعادهم عن الأحياء الأوروبية.

4-5.المدن الجزائرية خلال مرحلة الاستقلال:

إن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية غداة الاستقلال تجعل من قياس درجة التحضر قياسا نسبيا باعتبارها مرحلة انتقالية من 1962-1966م، لتثبيت السكان حسب قوانين التسيير الذاتي في الريف والمدن، مما استقطب عدد كبير من الفلاحين وجلبهم من الأرياف إلى المزارع الحكومية القريبة من المراكز العمرانية الواقعة بحواف المراكز الشبه حضرية،، فنمت بذلك المدن وتوسعت بسرعة كبيرة خاصة المدن الكبرى منها الجزائر، وهران، قسنطينة، وقد اشتدت هذه الهجرة بعد الاستقلال حيث ارتفع عدد سكان المراكز الحضرية مما أدى إلى تضخم المدن وتوسعها في ظل غياب سياسة عمرانية سليمة .

وبالتالي عرف المجال الجزائري في هذه المرحلة تكريسا لنمط عمراني واخر معماري يقوم على ثقافة دخيلة على مجتمعنا، ويرى الباحثون أن الشبكة العمرانية الحالية وتطور ممارسة تهيئة المجال العمراني مرتبطة بإعادة تشكيل بنية ما قبل الاحتلال الفرنسي .

5-خصائص الحياة الحضرية ومراحل التحضر في الجزائر:

يمكن تلخيص مراحل التحضر في الجزائر كما يلي:

1-5.المرحلة الأولى 1830-1910م:

تمثل مرحلة استكمال الغزو الفرنسي للجزائر وتوسع الاستيطان الأوروبي عبر التراب الوطني وتجريد الجزائريين من أراضيهم الزراعية وتوزيعها مجانا على المستوطنين الفرنسيين، مما جعل الأهالي يتراجعون إلى الأراضي الجبلية الوعرة التي ساهمت في انتشار الأوبئة والطاعون وغيرها من الأمراض لحرمانهم من أبسط المرافق الصحية.

2-5.المرحلة الثانية: 1910 – 1954م:

تمثلت في مرحلة الحروب والأزمات الاقتصادية العالمية التي انعكست سلبا على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، إذ تناقص الإنتاج الزراعي بفرنسا جراء هاتين الحربين وأصبحت تعتمد على الجزائر في تعويض النقص الغذائي خاصة في مجال الحبوب الذي أصبح يوجه كله إلى فرنسا، نتج عنه بذلك انتشار الفقر والمجاعات بين سكان الأرياف واستمرت هذه الوضعية إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، مما دفع بالهجرة الريفية نحو المراكز العمرانية بالجزائر وباتجاه فرنسا.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

وقد بدأت تظهر الأحياء القصديرية بشكل بارز خلال هذه المرحلة بحواف المدن الكبرى والمتوسطة، كما خصصت مساحات معينة لإسكان الجزائريين معظمها يقع في مناطق هامشية ضمن المخططات العمرانية التي كانت تنجزها الإدارة الاستعمارية لعزل العرب وإبعادهم قدر الإمكان عن الأحياء الأوروبية (Marhelot, 1997, 124).

5-3.المرحلة الثالثة 1954 – 1966 م:

لا شك أن الثورة الجزائرية كان لها أثر كبير في النزوح الريفي نحو المدن والمراكز العمرانية بسبب سياسة الطرد والتقتيل وإقامة المحتشدات لمراقبة سكان الأرياف باعتبارهم هم أول من احتضن الثورة وساندها، وبالتالي عملوا على عزلهم عن الثورة، ونتيجة لانعدام الأمن في الأرياف خلال هذه المرحلة جعل القرويين يغادرون بيوتهم كمهاجرين نحو المدن القريبة الحدودية كالمغرب وتونس، إضافة إلى استخدام الجيش الفرنسي الطريقة النازية في حشد سكان الأرياف في محتشدات قدرت بـ 1000 محتشدا محاطا بالأسلاك الشائكة لغرض خنق الثورة وقطع أي صلة لتموين المجاهدين، وبعد الاستقلال تحولت هذه المحتشدات إلى قرى صغيرة وتوسعت ولا يزال بعضها موجودا إلى حد الآن ونجد أن سكانها أصبحوا يميلون إلى الحياة الحضرية أكثر من الحياة الريفية.

وكنتيجة لهذه الظروف ارتفع معدل النمو الحصري السنوي في الجزائر حيث بلغ أعلى ارتفاع له في هذه المرحلة في تاريخ الجزائر ووصل إلى حدود 10.2%(بشير، مرجع سبق ذكره، 21)، ونتيجة لهذه الأوضاع تبنت الدولة الجزائرية المستقلة نماذج عديدة من الأنظمة الاشتراكية وطبقتها في المجالات الاقتصادية، فركزت بذلك الدولة في هذه المرحلة على القطاع الفلاحي الحكومي المتمثل في الأراضي الخصبة التي غادرها الأوربيون بعد رحيلهم من الجزائر والمتواجدة في الأقاليم المجاورة للمراكز العمرانية الكبرى بالشمال الجزائري كسهل عنابة، وهران، الشلف.

واستخدم نموذج التسيير الذاتي خلال حكم الرئيس الأسبق "أحمد بن بلة" كوسيلة لتسيير القطاع الفلاحي الحكومي، وجلب بذلك العمال الفلاحون من الأرياف إلى المزارع الحكومية القريبة من المراكز العمرانية الواقعة بجانب المراكز شبه حضرية.

وبالتالي كانت نتائج هذا النموذج سلبية بحيث ترك القطاع الفلاحي الخاص (التقليدي) مهجورا في بعض الجهات من القطر الجزائري، لأن تعميم الدولة لهذا النموذج في باقي المؤسسات الاقتصادية التي تركها الأوروبيون من مصانع وغيرها استقطب عددا كبيرا من الفلاحين بسبب الفوارق في الامتيازات وأجور المهن الحضرية.

5-4.المرحلة الرابعة 1966-1977م :

هي مرحلة التي تبناها الرئيس "الراحل هواري بومدين "وشهدت الجزائر خلال هذه المرحلة نمطا جديدا من التنظيم الاقتصادي الموجه استعملت فيه وسائل التخطيط المركزي، وإحداث العديد من الإصلاحات الزراعية كتأميم الأراضي وإنشاء التعاونيات الفلاحية، وكذا بناء القرى الاشتراكية، ونجد من أهم الخطط الاقتصادية التي أثرت في الأوساط الاقتصادية الجزائرية ومناطقها وفي حركة السكان هي: الخطة الاقتصادية الانتقالية (1967- 1969م)، المخططان الرباعيان (1970-1973م)، و(1974-1977م) على التوالي ولقد أحدثت هذه المخططات والبرامج الخاصة تغيرات جذرية في الخريطة الصناعية بالجزائر، فوسعت مجالات المدن بتهيئة مناطق سكنية جديدة ووسعت شبكة الطرق البرية.

وأحدثت كذلك هذه المخططات الاقتصادية هزة قوية جعلت سكان الأرياف يتوافدون على المدن أين توفر فرص العمل في الوحدات الصناعية والمؤسسات الاقتصادية والتجارية ومؤسسات البناء والأشغال العمومية، حيث بلغت نسبة المهاجرين من الريف إلى المدينة في هذه المرحلة حوالي 1.7 مليون نسمة أي بمعدل يزيد عن 100000 نسمة في السنة الواحدة (بشير، مرجع سبق ذكره، 24).

6-نمو سكان المدن وتوزيعهم على المدن الجزائرية:

6-1.مراحل نمو سكان المدن: إن المتتبع للمعطيات الإحصائية عن سكان الجزائر منذ بداية الاحتلال 1830م وحتى أول إحصاء للسكان في عهد الاستقلال 1966م، يلاحظ أن نمو السكان قد مر ثلاث مراحل متباينة تمثلت في الآتي : (محمد، 1984، 69، 78):

1.1.6مرحلة الركود والتراجع السكاني:

وتبدأ من بداية فترة الاحتلال لتنتهي سنة 1986م، وهي أخطر مرحلة مر بها نمو سكان الجزائر، إذ أنه تدنى عدد السكان وبلغ 2.462935 نسمة خلال سنة 1976م، بعد أن كان يقدر بحوالي 3 ملايين خلال سنوات 1851و 1866و 1868م وهي تلي فترة الحروب الاستعمارية والثروات الوطنية التي شهدتها الجزائر ابتداء من سنة 1849م وحتى سنة 1881م وتميزت بانخفاض المستوى الصحي وقلة المصحات والأطباء.

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 02 ، 31/ 03/ 2022
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

2.1.6.مرحلة النمو السكاني البطيء:

وتمتد من سنة 1886 حتى سنة 1921م وتعتبر مرحلة مستقرة ودامت 35 سنة، حيث قدرت الزيادة الطبيعية فيما بين 0.4% و1.7 %.

3.1.6.مرحلة الانفجار السكاني:

وتبدأ من سنة 1921م إلى غاية يومنا هذا، فنجد بالمقارنة بين إحصاءات سنتي 1906م و1960م أن عدد السكان تضاعف خلال هذه المدة ليصبح 10.637.896 نسمة خلال سنة 1960م، باستثناء عدد الأوربيين 1.058.581 نسمة ليصبح العدد الحقيقي للجزائريين 9.479.315 نسمة فقط.

ونجد هذا العدد تضاعف خلال 17سنة تضاعف ووصل ما يقارب 18مليون نسمة سنة 1977م.

والجدول الآتي يوضح ذلك:

الجدول- 1-يوضح مراحل نمو سكان الجزائر (1830 – 1990)

السنة	الجزائريون	الأوروبيون	المجموع
1830	3.000.000	-	3.000.000
1856	2.307.349	180.330	2.487.679
1866	2.652.072	251.942	2.904.104
1876	2.462.935	344.749	2.807.685
1886	3.287.000	465.000	3.752.000
1906	4.046.000	675.000	4.721.000
1926	4.615.700	828.600	5.444.300
1931	5.026.300	875.700	5.902.200
1936	5.570.100	939.500	6.509.600
1948	6.660.000	909.700	7.569.700
1954	7.840.000	971.100	8.811.200
1959	8.850.000	1.052.000	9.875.000
1966	12.150.000	-	12.150.000
1977	17.422.000	-	17.422.000

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

1990	26.000.000	-	تقدير 26.000.000

(-)تعني الإشارة أن المعطيات الإحصائية غير متوفرة

المصدر: (محمد، المرجع السابق، 207)

وبالتالي يمكننا القول أن خلال عهد الاحتلال الفرنسي عام 1830م كان عدد سكان المدن حوالي 5% من مجموع السكان وكان معظمهم يقيمون في الريف وخلال عام 1954م ارتفعت نسبة سكان المدن إلى 25% لتصل إلى 31% عام 1966م وإلى 41% خلال عام 1977 م وإلى 49% عام 1987، وإلى 59% عام 1996م.

وبالتالي أصبح أكثر من نصف الجزائريين يقيمون في المدن التي عرفت بدورها تنمية سريعة في مختلف القطاعات، مما أدى إلى استقطاب الكثيرين نحو المدن، للبحث عن مستوى اقتصادي ومعيشي أحسن.

في حين ترجح الإحصائيات إلى أن يصل نسبة سكان المدن الجزائرية عام 2000 إلى نحو 60% من 128.مجموع السكان (قراءة إلكترونية على الخط http//algeria.maktoobblog.com.)

وبالتالي نجد أن الفترة من 1954-1987م مثلت طفرة كمية هائلة في نمو سكان المدن، حيث تزايد عددهم من 1.6 مليون نسمة سنة 1954م إلى 11 مليون نسمة خلال عام 1987 م بنمو زيادة يعادل 677%، في حين لم تحقق الزيادة العامة لإجمالي السكان سوى زيادة تعادل 216%، وهذا معناه أن معدل نمو الحضر كان يفوق بكثير معدل التزايد الطبيعي الإجمالي للسكان فتضاعف بذلك سكان الجزائر خلال 20 سنة تقريبا، وتضاعف معه سكان المدن بثلاث مرات خلال نفس الفترة من 1966-1987م حيث تضاعف عدد المدن التي يزيد عدد سكانها عن 100 ألف نسمة من 8 سنة 1977م إلى 16 مدينة سنة 1987م، و23.6 مليون نسمة سنة 1998(محمد، 2001، 128)

وهذا نتيجة التصنيع والتوظيف الصناعي التي اتبعتها الجزائر منذ 1967م، والتي ساهمت في نمو المدن الجزائرية، حيث شهدت نسبة التحضر صعودا انطلاقا من سنة 1966م، حيث قدرت 30.4% وارتفعت إلى 40.7% سنة 1977 م إلى 50% سنة 1987 لتصل إلى 60.1% عام200(Rapport national, population et développement Algérie)، ونجد أن الهجرة الريفية لها دورا كبيرا في ارتفاع عدد السكان بالمدن الجزائرية مما ساهم في ارتفاع نسب التحضر بها.

والتحضر في الجزائر له عدة خصائص نبرز أهمها في الآتي:(عبد العزيز، 2005، 167)

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

أنه يعكس الواقع السياسي والتاريخي والاجتماعي في البلاد.

-ان نمو الحضر في تزايد مستمر.

-ان عملية التحضر تميزت بخاصية السرعة، حيث كانت ولا زالت أقوى على طاقات المدن وإمكاناتها الطبيعية والاقتصادية، فساهمت في رفع معدلات النمو الحضري وجعلها تفوق معدلات النمو الإجمالي للسكان.

-ان التحضر استقطب أهم القوى الدفاعية في تطور سكان الجزائر، وأنه كان السبب الرئيسي في الخلل القائم في التوازن بين الريف والحضر.

-إن تزايد عدد المراكز الحضرية في الجرائر، يعكس مدى الطاقات الكامنة في عملية التحضر وفي خيارات التنمية والتخطيط المحددة من قبل الدولة.

-ارتفاع عدد المدن الصغيرة والمتوسطة لمواجهة التمركز الحضري للسكان في المدن الكبرى.

وما يمكن أن نستخلصه في الأخير: أن المدن الجزائرية امتازت بالانتشار الواسع لمدن الصغرى حيث نجد حوالي 326 مدينة صغيرة، بفضل استفادتها من عمليات التصنيع والخدمات وهي مؤشر هام لتوازن التنمية الحضرية في الجزائر، التي استهدفت التقليل من المناطق الطاردة للسكان ونشر التنمية الحضرية عبر مختلف التراب الوطني.

2.6.الكثافة السكانية:

تقدر الكثافة السكانية العامة في الجزائر بـ 12.2 نسمة /كم2 عام 1998، ذلك لأن معظم السكان يتمركزون في مساحات محدودة من الأراضي الصالحة للاستقرار، فالخريطة الجيولوجية للجزائر تبين أن معظم أراضيها صحراء تتكون من الجبال والرمال وهي تحتوي على مساحة تقدر بـ 2.174.508 كم2 إذ تعتبر من أكبر الصحاري في العالم، ولهذا ما بقي كمساحة قابلة للحياة إلا 207.493 كم2 يسكن فوق هذه المساحة الصغيرة 80% من سكان الجزائر(الديوان الوطني للاحصائيات ONS.2007).

وبالتالي تتحكم العوامل الطبيعية والاقتصادية والإدارية والتاريخية بصورة أساسية في رسم صورة الكثافة السكانية في الجزائر فنجد أن:

الكثافة السكانية تتناقص كلما اتجهنا من الساحل نحو الجنوب ومن الشرق نحو الغرب، فنجد في التل أعلى كثافة وتتراوح بين 50 و200 نسمة في كم2، وتزيد عن 400 نسمة/كم2 في المناطق الساحلية والمدن الكبرى حيث يضم 65% من جملة سكان الجزائر رغم أنه يمثل سوى 4% من

جملة مساحة البلاد نتيجة للظروف الطبيعية الملائمة، وكذا تجمع مختلف الأنشطة الصناعية والتجارية والخدماتية.

أما في الهضاب العليا فنجد الكثافة تتناقص إلى ما بين 10 و50 نسمة/كم2 وهي تأوي 25% من السكان وعلى نحو 9% من جملة مساحة البلاد نتيجة للظروف الطبيعية الملائمة نسبيا، وتبذل الدولة جهودا كبيرة لإعادة إعمار هذا الإقليم من خلال استراتيجية التهيئة العمرانية التي أولت اهتمام كبير لهذا الإقليم باعتباره العمود الفقري للمعمور الجزائري.

أما الصحراء فتقل فيها الكثافة السكانية حيث حصة الكلم المربع عن شخص واحد بسبب قساوة المناخ، ويقيم 10% من سكان الجزائر فوق 87% من مساحة البلاد.

وقد وضعت الحكومة لحل مشكلة السكان بالمدن الكبرى سياسة التوازن الجهوي الاقتصادي والاجتماعي بين المدن والأرياف بهدف توزيع السكان توزيعا عادلا على مختلف مناطق البلاد، وذلك بإنشاء مدن جديدة كوسيلة مثلى لاستغلال المجال الجغرافي استغلالاً رشيداً لتحقيق التوازن بين الهضاب العليا والجنوب.

7-نماذج للتطور التاريخي والتغير الحضاري لبعض المدن الجزائرية:

1.7. مدينة وهران -نموذجا-

يعتبر رأس العين منطقة استقرار بشرية قديمة، سكنتها قبائل النفرة وبني مسغن المنحدرة من قبيلة ازديجة البربرية، فقد كانت لطبيعة هذه المنطقة التي نشأت فيها وهران، أثرها الواضح على تحديد شكلها ونموها واجتذابها لعدد كبير من السكان البدو النازحين اليها من المناطق المجاورة، مما جعلها تكبر وتنمو رويدا رويدا حتى تكون شكلها، و أصبحت بلدة صغيرة تتميز عن بقية جاراتها بموقعها على الوادي وبجوار البحر وسهولة الوصول اليها من مختلف الجهات(بشير مقيبس، 1983، ص79)، و بذلك بنيت مدينة وهران في أواخر القرن الثالث هجري على ربوة صغيرة يحيط بها حوض زراعي يخترقه واد صغير، تمتد غربه تلك البلدة التي عرفت باسم وهران منذ نشأتها الاولى حتى الان .

نشأت وهران على ساحل البحر تحيط بها أسوار متينة، أسواقها دائما مأهولة، ارتبطت نشأتها بالدور التجاري الهام الذي تتمتع به بسبب موقعها المواجه لمدينة المارية على ساحل الاندلس، وعليه ظلت مدينة وهران حلقة وصل بين المدن في الاندلس وتلمسان في الداخل، و بذلك شدت المدينة منذ القدم اهتمام الحضارات المختلفة فتقلب حكمها بين سلالات حاكمة محلية من عرب وأتراك وبين محتلين إسبان وفرنسيين وضع كل منهم بصمته لتزين به المدينة فسيفساءها التراثي والثقافي، كما عملت على تغيير شكلها من شكل المثلث الى شكل نصف دائري المحتشد بالشوارع الواسعة المستقيمة، و اصبحت المدينة القديمة مطوقة ببنية حديثة، و لم تعد الاسوار والحصون ضرورية بعد استتاب الامن الداخلي

وتزايد عدد السكان وتطور وسائل النقل والمواصلات، و بعد الاستقلال شهدت المدينة تطورات مهمة جعلت منها ثاني مدن البلد وقطبا اقتصاديا وعلميا مهما (الموقع الالكتروني على الخط www.aps.dz تفحص يوم 2020/09/10).

ويمكن القول بأن مدينة وهران قد شهدت نموا هائلا في عمرانها وتقدمها خلال العهد الاسلامي الذي دام أكثر من ستة قرون، واخذت تتسع في بداية مرحلتها الجديدة، فاتسع العمران بها وتقدمت فيها التجارة والزراعة، وأصبح ميناؤها من أكبر موانئ المغرب الاوسط اهمية في مجال التبادل التجاري.

و اما النمو العمراني في المدينة فقد نما طوليا بحذاء الوادي حتى وصل للساحل وأصبحت تحتل موقعا استراتيجيا مهما، ويرى بذلك المؤرخين العرب أن نمو العمران لم يطرأ عليه تغيير واضح باستثناء الحصون التي شيدها الاسبان ووسعوها واتخذوها ملاجئ لقواتهم للمحافظة على المدينة، واصبحت مدينة وهران حاضرة جهوية بفضل العديد من الوظائف التي تؤديها الخدماتية والإدارية والاقتصادية التي تتركز بها، و خاصة بعد ضمها لأربعة بلديات وهي وهران، السانيا، سيدي الشحمي وبئر الجير، وبذلك تعتبر مدينة مليونية تزايد نموها الديمغرافي وبلغت نسبة الزيادة السكانية ب 47%بين عامي 1987 و2008 م وبذلك فهي تعتبر ثاني مدن الجزائر وثالث مدن المغرب العربي الكبير من حيث عدد السكان حيث بلغ أكثر من 1.5 مليون نسمة وأكثر من 2مليون نسمة مع ضواحيها.

وتجسد هذا النمو الحضري من خلال امتداد المدينة الى السواحل الشرقية فتطورت النشاطات والمناطق السكنية والتي ادت الي تغيير عميق في الواجهة الحضرية، وبعد كل من حي قمبيطا وحي العقيد لطفي أمثلة حية عن الديناميات والتوجهات الحضرية للمدينة يحوي على مركز للأعمال، فنادق دولية، أبراج متعالية، إعادة تهيئة لشارع واجهة البحر، بناء مركز اتفاقيات دولي.

وهكذا فان مدينة وهران تضم نسيجا عمرانيا يعود الى الفترة الاستعمارية وامتداداته الى غاية سنوات التسعينات، فقد ضمت منذ 1998م ما يقارب 100.000ساكنا، أي ما يعادل 13 %من سكانها وذلك لفائدة المناطق السكنية المجاورة الناشئة حديثا والتي تضاعف عدد سكانها ست مرات مقارنة بالسانيا واحدى عشرة مرة بالنسبة لسيدي شحمي، كما استحوذت بلدية بئر الجير التي أنشأت سنة 2000 على جزء من التوسعات الجانبية لوهران، كما تمثل بعض البلديات فضاءا من جاذبية المدينة كالمرسى الكبير وعين الترك التي تقع 15 كم الى الشمال الغربي من مدينة وهران تضم العديد من الهياكل الفندقية والسياحية التي عملت على تغيير المنظر الحضاري للمدينة، كل هذه العوامل الحضرية ساعدت المدينة بالاحتفاظ على أهميتها المركزية اداريا وتجاريا وحضاريا لجميع المدن الواقعة في الغرب الجزائري .

2.7.مدينة قسنطينة –نموذجا-

تعتبر مدينة قسنطينة من أهم المدن العتيقة بالمغرب العربي وتعد ثالث أكبر مدن الجزائر وتسمى مدينة الجسور المعلقة وهي عاصمة الشرق الجزائري، يطلق عليها عدة تسميات منها "مدينة الصخر

العتيق" نسبة الى للصخر المبني فوقه المدينة واسمها النمودي "سيرتا" و"ام الحواضر"باعتبارها من أقدم المدن في العالم تتلامس فيها هضابها العليا بالساحل الشرقي بثرواتها الطبيعية وبتضاريسها المعقدة التي تجعلها مؤمنة دفاعيا وغذائيا وصحيا، فتتميز المدينة القديمة بكونها مبنية على صخرة الكلس على شكل مثلث غير منتظم الاضلاع، قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب، يحيط بها واد الرمال من كل جهاته، و يبلغ ارتفاعها على مستوى سطح البحر 300 م .

وبحكم موقعها الاستراتيجي كانت المقر الهادئ للفينيقيين الذين اهتموا بها وطوروها في كل المجالات وجعلوا منها أول عاصمة في شمال افريقيا، فعاشت المدينة صراعات واضطرابات بدءا بموت ماسينيسا إلى يوغرطة الذي اختارها منطلقا لحربه ضد الرومان، ثم مرحلة العهد الروماني، و تمرد على شوارع هذه المدينة الرومان عام 305م مما دفعهم لتخريب عمرانها، بعدها اعاد الامبراطور الروماني قسطنطين الاكبر عام 311م ترميمها وأعاد اليها مكانتها كعاصمة لإقليم الشرق عام 1568م، و رفع من مكانتها بتنشيط الزراعة والصناعة وحرص على تشجيع الاستقرار بها فكثر سكانها وانتشر عمرانها خارج اسوار المدينة حتى بلغ سفح جبل شطابة، كما جدد شوارعها ورصفها بالحجارة، شهدت كذلك المدينة في عهد الحاكم العثماني صالح باي الذي قام ببناء الكثير من المباني التي مازالت حاضرة الى يومنا هذا ولعبت دورا كبيرا في تاريخ المدينة، بعده حاول الفرنسيين احتلال المدينة مرارا وبعد مقاومات عديدة مع الاهالي تمكنوا من السيطرة على المدينة وبالتالي هذه هي قسنطينة التي صارعت الزمن وتداولت عليها تغيرات حضارية عبر تاريخها (الموقع الالكتروني على الخط www.alwaei.gov.kw تصفح يوم 2020/09/11)، وعليه فأهمية المدينة التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية جعلها محل أنظار القوى الطامعة التي تناوبت عليها، وبالرغم من تعاقب الحضارات التي حكمتها الا أنها حافظت على أهميتها التجارية والثقافية والدينية والسياسية، ساعدها على هذا موقعها الاستراتيجي المحصن ضد الغزاة والطامعين، و تعتبر فترة الفتح الاسلامي من أهم المحطات التاريخية التي ساهمت في تطور عمران المدينة لتصل الى ذروتها في الفترة التركية، واستطاعت بذلك أن تنتج أهم المفاخر العمرانية والمعمارية والثقافية بالجزائر الا وهي المدينة العتيقة والجسور المعلقة والصروح الاثرية التاريخية وأثار المدينة النائمة وصولا الى متحف قسنطينة العريق وأصبحت بذلك اليوم العاصمة الجهوية .

وبذلك يمكن القول أن مدينة قسنطينة شهدت نموا حضريا مع صدور مخطط العمران الموجه في اطار المخطط الوطني لتهيئة الاقليم بهدف تكملة مشاريع المناطق الحضرية مما جعلها حلقة وصل بين الشبكة الحضرية الساحلية والداخلية ونقطة مركزية في عملية التبادل التجاري والاقتصادي، وبالتالي عملت هذه العوامل على تسريع وتيرة النمو الحضري بها حيث بلغت نسبة التحضر بها 76%، تركز خلالها معظم سكانها داخل المناطق الحضرية مما سبب ضغطا ديمغرافيا كبيرا عليها خاصة على مناطقها

الحضرية الرئيسية، مما زاد في تضخمها وكبر حجمها، دفعها الى ضرورة خلق توازن حضري يعمل على تنمية المراكز الحضرية الجديدة و المدن الصغيرة والمتوسطة بها لتخفيف الضغط على مناطقها الرئيسة.

3.7.مدينة بسكرة –نموذجا-

تعتبر مدينة بسكرة مهد الحضارات القديمة، ظلت تسميتها محل اختلاف بين المؤرخين فمنهم من يؤكد ان اسمها مشتق من كلمة فسيرة"vescera" الروماني الاصل الذي يعني المحطة أو الموقع التجاري نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي اهلها أن تكون منطقة عبور والبقاء بين الشمال والجنوب (فوزي مصمودي، 1999، ص48) ومنهم من يرى التسمية الأولى "AD piscinam" وهي كذلك رومانية وتعني المنبع المعدني نسبة الى حمام الصالحين، اما البعض يرى ان كلمة بسكرة ترمز الى حلاوة تمرها (دقلة نور) تلك الثمرة التي تزخر بها المنطقة .

تعاقبت على المدينة حضارات منذ حوالي 7000 قبل الميلاد بداية من المرحلة القرطاجية حيث كانت المدينة تتوسط الشمال والجنوب، وموقعها مكن القرطاجيين من نقل السلع من واحة ليبيا ومدنها الى الشمال الافريقي، وبعدها المرحلة الرومانية حيث كانت المدينة في هذه الفترة ملتقى الطرق الرئيسية، وشكلت بذلك مركزا حربيا وقاعدة للتوغل الروماني في منطقة الزاب .

ثم تليها المرحلة الاسلامية وبعد الفتوحات الاسلامية وتعاقب الدويلات والخلافات عليها، بدا الطابع الاسلامي واضحا في شتى المجالات ومنها الطابع العمراني، وظهر التأثير العربي الاسلامي من خلال ما كتبه الرحالة العرب، بعدها تعاقب كل من الحماديين والهلاليين والحفصيين والمارنيين غير أن في هذه الفترة لم يشهد العمران تطورا واقتصر على مجموعة مساكن، تليها المرحلة التركية اين بنو الاتراك حصنا وقلعا وبفضل موقع المدينة الممتاز كانت مركز استقطاب ومعبر للحجاج باحتضانها أطول منارة في افريقيا، اضافة الى نشاطها الصناعي والتجاري الذي استقطب الكثير من التجار والصناع من مختلف بقاع العالم.

الى غاية وقوع المدينة تحت الاحتلال عام 1844 اين عمل الاحتلال على بناء معسكر الحامية العسكرية "سان جرمان" واختاروا رأس الماء شمال المدينة تبعا للمتطلبات العسكرية، وعليه شكل هذا الحصن مظهرا للعمران الجديد ببروز أحياء المعمرين المتميزة ذات النمط الأوروبي صمم وفق خطة شطرنجية، و بعدها اقيمت ابواب الحراسة الاربعة والمعروفة حاليا بمدرسة بن مالك لحسن، جبل الضلعة، خزان الماء قرب مقبرة النصارى، خزان ماء بجي العالية، عرفت خلاله المدينة تطورات وظيفية أعطت نهضة عمرانية واضحة لها، و عليه فالتراث الذي تركه المستوطنون بالمنطقة يشكل احد المصادر الحضارية الهامة التي تعتبر ذات قيمة تاريخية تركت بصماتها في النمط العمراني والمعماري للمنطقة .

وبعد الاستقلال أخذت المدينة في التوسع بشكل عشوائي في ظل غياب القوانين العمرانية التي تسير الاراضي القابلة للتعمير، بعدها تم إعداد دراسات للتحكم في توسع وتعمير المدينة توج باعتماد بمخطط عمراني عام للمدينة تم انجازه سنة 1984م.

ويمكن القول أن مدينة بسكرة شهدت نموا عمرانيا هائلا صاحبه نموا ديمغرافيا حيث بلغ العدد الاجمالي للسكان 200654 نسمة أي بنسبة 27.48%و أغلبهم يتركزون في المناطق الحضرية، وبالتالي يمكننا القول أن درجة تحضر سكان بسكرة تساوي 99.53% جعلها تسيطر على على الشبكة الحضرية من جانب ديمغرافي ووظيفي وجعل منها قطبا حضريا جاذبا للسكان للخدمات والاستثمارات، ومن جانب اخر هذا التوسع العمراني الهائل أثرسلبا في نقص الوعاء العقاري وبروز احياء فوضوية اعاقت النمو الطبيعي للمدينة، لذلك لابد من ايجاد سياسات حضرية واضحة تعتمد على انجاز أدوات التهيئة والتعمير لمعالجة مختلف المشاكل الحضرية .

***-خاتمة:**

من جملة ما سبق يمكن القول إن المدينة الجزائرية حقيقة تراكمية في المكان والزمان لها خصوصياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تميزها عن غيرها من المجتمعات.

فهي نموذج حضري يرجع تاريخها لما قبل الميلاد، وهي انعكاس لتزايد التعقد الاجتماعي واستجابة لظروف اجتماعية وثقافية وجغرافية شهدت الجزائر خلالها حياة حضرية متنوعة كانت بوادر لظهور المدن ساهمت في بناء التراث العمراني وتشكيل الشبكة الحضرية في الجزائر الناتجة عن الهجرة والحركة الجغرافية للسكان بفترات تاريخية متميزة شكلت محطاته الرئيسية، وانعكست على البناء الاجتماعي والايكولوجي للمدن الجزائرية الحديثة وذلك بسبب عدم قدرة المدينة على استيعاب سكانها وعدم مواكبة تطور الانظمة الحضرية المختلفة للتطور الحضري السريع مانجم عنه الكثير من المشكلات.

وتوصلت الدراسة الى جملة اقتراحات تمثلت في الاتي:

- إن انعدام وجود سياسة تنموية متوازنة بين مختلف الأقاليم والتركيز على المدن الكبرى والمتوسطة في مجال التنمية الحضرية بصفة خاصة والتنمية الاقتصادية بصفة عامة، نجم عنها الكثير من المشكلات كالبناء الفوضوي، الاحياء القصديرية، السكن الانتقالي والبناء غير القانوني.....، لذلك لابد من ايجاد سياسة تهيئوية في الارياف تحفز على الاقامة به.

-تشجيع الهجرة العكسية من المدن الى الارياف من خلال العمل على تنمية المناطق الريفية وتحويلها الى مناطق جذب سكاني في إطار فكرة المجمع القروي، الذي يعتمد على القرى الكبيرة كنموذج لعاصمة قروية للمجتمع الريفي وتكون منعزلة الى حد كبير عن المن الكبيرة الحجم وتحدد العلاقة بينها وفق أسس يتم اختيارها.

-الترويح الربيعي ينطلق من ضرورة ربط التنمية الريفية بإيجاد روح الانتماء الى الريف أو الوعي الريفي أو الهوية الريفية تدفع بالفرد الى اختيار الاقامة في الريف.

-العمل على ايجاد تخطيط عمراني وإقليمي محكم، ودقة في تسيير متطور لتنظيم وضبط التغيرات التي تحدث داخل النسيج العمراني التي أدت الى ظهور مجمعات حضرية وتلاحم في النسيج العمراني، خاصة في ظل التطور الحضري الذي تشهده المدن الجزائرية.

-العمل على وضع استراتيجية تعمل على تحويل الريف الى مناطق جذب عمراني وتحويل الريف الى أماكن للهدوء والراحة بعيدا عن الضوضاء الحضري والتلوث البيئي.

-ضرورة تحقيق توازن حضري بين معدلات نمو سكان الحضر ومعدل النمو الحضري السنوي المرتفع، والتحكم في نمو النسيج العمراني بتوفير كافة وسائل التهيئة والتعمير لتحقيق التوازن الجهوي.

-ضرورة القيام بدراسات معمقة لإيجاد أحسن البدائل والحلول لإشكالية التحضر من خلال عقلنة استخدام الارض الحضرية وربطها بجميع الظواهر البشرية والطبيعية المكونة للوسط الحضري لمسايرة التطورات الحضرية الحاصلة.

******

قائمة المصادروالمراجع المعتمدة:

-المراجع باللغة العربية

1. بشير التجاني (2000)، التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
2. حسين عبد الحميد أحمد رشوان (1998)، المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
3. عبد العالي الشامي (1988)، جغرافية العمران عند ابن خلدون، جامعة الكويت للنشر والتوزيع، الكويت.
4. عبد العزيز بودن (2005)، التحضر في الجزائر، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد05، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، الجزائر .
5. محمد بومخلوف (2001)، التوطن الصناعي وقضاياه المعاصرة الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنموية، دار الأمة، ط1، الجزائر
6. محمد السويدي(1984)، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر.
7. محمد حسن غامدي(1984)، الأنثربولوجيا الحضرية (مع دراسة عن التحضر في مدينة العين، أبو ظبي)، دار المعرفة الجامعية، ط1.
8. محمد عاطف غيث (دس)، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
9. مصلح الصالح (2000)، النظريات الاجتماعية المعاصرة وظاهرة الجريمة في البلدان النامية، مؤسسة الوراق، عمان.

10. بشير مقيبس(1983)، مدينة وهران –دراسة في جغرافية العمران المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
11. قراءة إلكترونية، على الخط www.aps.d
12. فوزي مصمودي (1999)، بسكرة عروس الزيبان، مجلة المعرفة الجديدة، قسنطينة، العدد 1999/12/17.
13. نهى السيد حامد فهمي (1978)، دراسات في التحضر، مطبعة الكيلاني، القاهرة.

-المراجع باللغة الاجنبية

14. Edd, E. led (1968) , urban anthropology, Athens university of Georgia press.
15. Marhelot .(1997) les bidons villes encasernés, contribution à l'étude de surpopulation à Alger, im les influences occidentales dans les villes maghrébines à l'époque contemporaine, études méditerranée N°2.
16. R.ledrut (1973) Sociologie urbaine, P.U.F, Paris.
17. Rapport national(2003), population et développement Algérie.

-المواقع الالكترونية

الموقع الالكتروني: http//algeria.maktoobblog.com.
قراءة إلكترونية، على الخطwww.aps.d

-التقارير والاحصائيات الرسمية الوطنية

-الديوان الوطني للإحصائيات (ONS)معطيات احصائية حول السكان في الجزائر 2007.